

*Dirassat & Abhath*

The Arabic Journal of Human  
and Social Sciences



مجلة دراسات و أبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية  
والاجتماعية

*EISSN: 2253-0363*

*ISSN : 1112-9751*

## اللِّسَانِيَّاتُ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ التَّأَصِيلِ وَالتَّأْسِيسِ

### Arabic linguistics between rooting and foundation

عريب عمر Omar arib 1، د/بن فضة فريدة 2 benfadda farida

1 طالب دكتوراه ، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها.

مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

Doctoral Student, Mouloud Mammeri University Tizi- Ouzou, Faculty of literature and languages, Department of Arabic language and its literature.

Laboratory of linguistic practices in algeria

[omar.arib@fll.ummtto.dz](mailto:omar.arib@fll.ummtto.dz)

2 أستاذة محاضرة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها،

مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

Conference teacher, Mouloud Mammeri University Tizi- ouzou, Faculty of literature and languages, Department of Arabic language and its literature.

Laboratory of linguistic practices in algeria

[farida.benefedda@ummtto.dz](mailto:farida.benefedda@ummtto.dz)

الإيميل: omar.arib.@fll.ummtto.dz

المؤلف المرسل: عريب عمر Omar arib

تاريخ القبول: 2023-03-24

تاريخ الاستلام: 2022-11-10

## المخلص:

لقد توجّهت الدِّراسَاتُ اللُّغويَّةُ العربيَّةُ الحديثةُ منذُ اتَّصَلِهَا بِالدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ إِلَى قِرَاءَةِ المَعْطِيَّاتِ اللُّغويَّةِ التُّرَاثِيَّةِ العربيَّةِ للكشْفِ عَنِ مَظَاهِرِ الحَدَاثَةِ فِيهَا، حَيْثُ أُنْزِلَتْ مَنزِلَةً حَضَارِيَّةً عِنْدَ بَعْضِ اللِّسَانِيِّينَ العَرَبِ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ وَجَّهُوا قِرَاءَتَهُمَ لِلتُّرَاثِ اللُّغويِّ العَرَبِيِّ وَجِهَةً تَقَابِلِيَّةً مَعَ الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ العَرَبِيِّ لِتَحْقِيقِ التَّوَاصُلِ للعَرَبِ بَيْنَ المَاضِي وَالحَاضِرِ، وَنَحَى بَعْضُ اللِّسَانِيِّينَ هَذَا المُنْحَى عَلَى غَرَارِ نِهَادِ المَوْسَى وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَاجِ صَالِحِ الَّذِينَ وَجَدُوا فِي التُّرَاثِ زَخْمًا مَعْرِفِيًّا وَ لُغويًّا يُضَارِعُ مَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ اللِّسَانِيَّاتُ الحَدِيثَةُ، فَحَاوَلُوا تَأْصِيلَ النَّظَرِيَّاتِ اللِّسَانِيَّةِ الحَدِيثَةِ فِي التُّرَاثِ اللُّغويِّ العَرَبِيِّ، وَكَذَا اسْتَظْهَرَ نِبَاغَةَ العَرَبِ وَ أَصَالَةَ مَبَاحِثِهِمُ اللُّغويَّةِ، وَ عَلَى طَرَفٍ نَقِيضٍ فَقَدْ أَدَّتِ القِرَاءَاتُ المَتَعَدِّدَةُ لِلمَعْرِفَةِ اللِّسَانِيَّةِ الحَدِيثَةِ وَ تَرَجَمَتِهَا مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِيِّينَ العَرَبِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمُ احْتِكَالٌ مَبَاشِرٌ بِهَا وَالِانْخِرَاطُ الفِعْلِيُّ فِيهَا كَمَا زَانَ الوَعْرُ وَ أَحْمَدُ المَتَوَكَّلُ إِلَى مُحَاوَلَةِ بِنَاءِ مَعْرِفَةٍ لِسَانِيَّةٍ ذَاتِ أَدْوَاتٍ تحْلِيلِيَّةٍ مُسْتَحْدَثَةٍ فِي دِرَاسَةِ ظَوَاهِرِ اللُّغَةِ العربيَّةِ.

الكلمات المفاتيح: اللِّسَانِيَّاتِ، اللِّسَانِيَّاتِ العربيَّةِ، التَّأْصِيلِ، التَّأْسِيسِ، اللُّغَةِ العربيَّةِ

**Abstract :**

Modern Arabic linguistic studies since its connection with the modern Western linguistic lesson have tended to read the linguistic data of the Arabic heritage to reveal the manifestations of modernity in them, as they have given it a civilized status for some Arab linguists because they have directed their reading of the Arab linguistic heritage in a way that corresponds to the Western linguistic lesson to achieve communication for Arabs between the past and the present, Some Arab linguists have taken this approach, such as Nihad al-Musa and Abd al-Rahman Haj Saleh, who found in the heritage a cognitive and linguistic momentum comparable to what modern linguistics has come up with, so they tried to root modern linguistic theories in the Arab heritage, as well as to evoke the Arab's brilliance and the originality of their linguistic topics. On the contrary, the multiple decisions of modern linguistic knowledge and its translation by Arab linguists who had intense contact with it and actual involvement in it, such as Mazen Al-Waer, Ahmed Al-Mutawakel, and others, led to the construction of new linguistic knowledge with innovative analytical tools to study the phenomena of the Arabic language.

**Keywords:** linguistics. Arabic linguistics. Rooting. Foundation. Arabic language

## مقدمة:

تأصيل قضايا الدرس اللساني الغربي الحديث في الدرس اللغوي العربي القديم؟ وهل تظهر في جهود اللسانيين العرب المحدثين بوادر بناء معرفة جديدة تؤسس للسانيات العربية؟

#### فرضيات البحث:

- يزخر التراث اللغوي العربي بمادة لغوية ثرية وثقيلة، جعلت اللسانيين العرب المحدثين يلجؤون عوالمها، معتقدين اعتقاداً جازماً أنه يضارع الكثير من مفاهيم النظريات اللسانية الحديثة، حيث جعلوه منطلقاً في تأصيل اللسانيات العربية الحديثة.

- لقد قام بعض اللسانيين العرب المحدثين ممن أخذوا مفاهيم النظريات اللسانية الحديثة من مصادرها ببناء وتأسيس معرفة جديدة بغية إيجاد آليات حديثة لتحليل الظواهر اللغوية للعربية.

#### أهداف البحث:

- إبراز ما يحوزه التراث اللغوي العربي من مادة لغوية علمية ثقيلة، ومحاولات اللسانيين العرب تأصيل بعض مفاهيم النظريات اللسانية الغربية الحديثة في هذا التراث، بغية بلورته مع تلك المفاهيم، وتبيان قدرته على مضارعة للمعرفة اللسانية الحديثة.

- إظهار المحاولات الحديثة والقيمة للسانيين العرب المحدثين في تحليل ظواهر اللغة العربية من منظور لساني حديث، وإيجاد آليات تحليلية بناءً على ما تقدمت اللسانيات الحديثة من معطيات.

#### منهجية البحث:

نظراً لطبيعة البحث الذي يروم إلى توصيف واقع اللسانيات العربية بين التأصيل اللساني والتأسيس المعرفي فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي، مشفوعاً بألية التحليل.

#### المحور الأول: مصطلح اللسانيات وموقف اللسانيين

##### منه:

إنَّ الشَّاعِ في الكتابات اللسانية العربية الحديثة أنَّ مصطلح اللسانيات العربية مصطلح مركب، وهو من المصطلحات الرائجة في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، و يختلف مدلوله من باحثٍ إلى آخر حسب اختلاف الخلفيات المعرفية، وقد أُطلق هذا المصطلح على الكتابات اللسانية الحديثة ( التمهيدية، التراثية، الترجمة)، غير أن السؤال المطروح الآن في الساحة اللغوية العربية هو: هل ترقى هذه

لقد ظهرت مع بدايات القرن العشرين ثورة في الدراسات اللغوية في أوروبا غيرت مجرى المعرفة اللسانية باللغات مع فارديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure) (1857-1913)، إذ أضى مفهوم اللسانيات يعبر عن الدراسة العلمية الموضوعية للغة البشرية، و قد وجد نفرٌ من الباحثين العرب نادّتهم في المعطيات التي أسفر عنها هذا المنحى، فحاولوا استثمار الممكن منها، تحدّوهم في ذلك رغبةً الاتكاء عليها كركزٍ للتصنيف، و لتحديث منهج التناول اللغوي، و تجديد الجهاز الوصف الذي ظلّ لقرون معتمداً عليه في نطاق البحث اللغوي العربي، و مع تسارع وتيرة البحث اللساني ظهرت بعد سوسير مناهج أخرى على غرار المنهج التوليدي التحويلي الذي نافع عن المعطى العقلي في دراسة اللغة على اعتبارها بنية عقلية مبرمجة بعدد متناهٍ من القواعد يسمح بإنتاج عدد لا متناهٍ من التراكيب، و لم تلبث الثقافة اللسانية العربية أن شهدت ظهور منحى لساني آخر رفع لواءه الوظيفيون الجدد، و صار الاهتمام مذ ذاك منصباً على الوظيفية التواصلية، و لقد تلقّف العرب هذين المنحيين من مضائهما و حاولوا استثمارهما في إعطاء نفسٍ جديد في معالجة قضايا اللغة العربية، و انتهاءً بالعلوم المعرفية كتوجه لساني جديد يهتم باللغة باعتبارها وجهاً أساسياً من وجوه الإدراك و يدرسها دراسة علمية وفق المستويات الذهنية للعقل البشري، فالتصورات و العمليات الذهنية أساس البنية اللفظية حيث يستعين هذا التخصص بمجموعة من العلوم مثل: الفلسفة، علم النفس، الذكاء الاصطناعي والأنتروبولوجيا، و في زخم هذه المعرفة تراءى في الأفق فئة من اللسانيين العرب أنزلوا تلك النظريات على أنّها امتداد إلى التراث اللغوي العربي الزاخر، فراحوا ياصلون مفاهيمها، رافعين لواء السبق للعرب فيها، و فئة أخذوا بمبدأ أنّ ما أتى به الدرس اللساني الغربي استنارة جديدة والأخذ بها هو عين التجديد المعرفي في دراسة ظواهر اللغة العربية.

##### إشكالية البحث:

إنَّ الغوصَ في الكتابات اللسانية العربية الحديثة و سبر أغوارها لمعرفة مكان التأصيل اللساني للنظريات اللسانية الغربية في التراث اللغوي العربي من جهة، وكذا معرفة كيفية استثمار معطيات تلك النظريات في التأسيس المعرفي للسانيات العربية يجعلنا نطرح الإشكال الآتي: كيف تمّ

و يذهب مصطفى غلفان إلى أن اللسانيات العربية «هي كل ما يكتب في اللسانيات باللغة العربية سواء تعلق الأمر باللسانيات العامة أو أي لسانيات أي لغة من اللغات الطبيعية»<sup>3</sup>، وعليه فاللسانيات العربية تشمل حتى الكتابات التي دونت باللغة الأجنبية شريطة أن تكون الظواهر العربية موضوعاً لها.

أما محمد صاري عندما سُئل: لسانيات عربية أو لسانيات اللغة العربية؟ فقد ذكر أنه عند الملاحظة الأولية يبدو أن اللَّفْظَتَيْنِ متشابهتين في المعنى رغم اختلافهما في التَّركيب، لكن بعض اللسانيين يزؤون أنه من الخطأ الحديث عن شيء اسمه اللسانيات العربية، فاللسانيات علمٌ كونيٌّ هدفها هو بناء نظرية شمولية في فهم الظاهرة اللغوية، فلا يوجد لسانيات فرنسية، أو ألمانية، أو أمريكية، والأدق هو الحديث عن لسانيات اللغة العربية التي تشير إلى المنجز اللساني العربي التراثي و الحديث الذي تناول بالوصف والتفسير قضايا اللغة العربية من وجهة لسانية، و هو بهذا يأخذ برأي غلفان الذي ينكر أن هناك ما يسمى باللسانيات العربية.

ولكن إذا نظرنا إلى قول محمد صاري حينما فضّل مصطلح لسانيات اللغة العربية باعتباره الأنسب للموضوع من المصطلح الآخر، فهذا يعني أن الموضوع الذي يشغلنا هو نفسه، ولا فرق بينهما في المدلول الذي يحملانه، فالاختلاف يكمن في أيهما أدق، من حيث أنه يحوي الموضوع ويعبر عنه أفضل من الآخر، و عليه فإن اخترنا أحدهما فإننا سوف نلغي الآخر لأنه وُجد من هو أقدر منه لاحتواء المفهوم الذي هو نفسه في المصطلحين حينما قال: (من الخطأ الحديث عن اللسانيات العربية) أي أنه ألغاهما، ولا يتوقف الاختلاف في المصطلح عند الذين ذكرناهم بل هي قضية مطروحة في الساحة اللغوية العربية لم يَبُتْ الفصل فيها، أو في تحديد أحد المصطلحات المعتمدة للدلالة على الموضوع الذي تشغل فيه.

### المحور الثاني: تأصيل المنجز اللساني الغربي في التراث

#### اللغوي العربي القديم:

#### أولاً: لسانيات التراث أو الاتجاه التأصيلي:

لقد أطلق مصطفى غلفان مصطلح (لسانيات التراث) للدلالة على تلك الجهود التي «تستهدف دراسة الفكر اللغوي

البحوث اللسانية العربية الحديثة لمستوى الدرس اللساني العلمي، أم أنها نقلت لما جاء في اللسانيات الغربية الحديثة، أو إحياء لما خلفه علماء العربية ومحاولة في أغلب الحالات للمقارنة بين الدراسات الغربية الحديث و التراث العربي.

إن أغلب الباحثين لم يطلقوا على هذه المحاولات مصطلح اللسانيات العربية، إنما وصفوها بأنها محاولات أو كتابات أو قراءات أو مقدمات، و أطلق عليها مصطلح لسانيات عربية في مؤلفات محدودة، و كان المقصود منها نقد الأسس النظرية و المنهجية التي قامت عليها هذه الكتابات لإثبات أنها لا ترقى إلى مستوى النظرية، إذا استثنينا بعض المحاولات كما يقول زكي نجيب محمود: «ترانا أحد رجلين، إمّا ناقلٌ لفكر غربي، و إمّا ناشر لفكر عربي، فلا التقل في الحالة الأولى، و لا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكراً عربياً أصيلاً، إنما يجب أن نستوحي لتخلق الجديد، سواءً عبرنا المكان لننقل عن الغرب، أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين»<sup>1</sup>.

إن مصطلح اللسانيات العربية و المؤلف من صفة وموصوف أطلق على المباحث اللغوية التي كتبها اللغويون العرب المعاصرون في تحليلاتهم لقضايا و إشكالات اللغة العربية منطلقين في ذلك من الأسس المعرفية للنظريات اللسانية الغربية الحديثة، و ذكر عبد الرحمن النوري أن عبارة اللسانيات العربية توحى بنوعٍ من اللسانيات التي صيغت و كتبت باللغة العربية سواءً من قبل العرب أو غيرهم، و قد تشمل مجالات كثيرة من نحو الازدواجية والاكتساب و التداخل اللساني وغيرها، و هذا يعني أن الكتابات اللسانية التي انتجها العرب المحدثون من منطلق اللسانيات الغربية بمختلف توجهاتها سواءً تلك الكتابات التي نقلت الأفكار اللسانية الغربية إلى العربية أو الكتابات التي ترجمت الكتب اللسانية الغربية إلى العربية.

و قد عبّر حافظ اسماعيلي علوي عن تحفظه عن استعمال هذا المصطلح بقوله: «سيلاحظ القارئ الكريم أننا نستعمل في معظم فصول الكتاب عبارة (اللسانيات في الثقافة العربية) بدلاً من (اللسانيات العربية) لعدم جدوى هذا النوع من التمييز، إذ من غير المقبول أن نتحدث عن: لسانيات عربية، و لسانيات فرنسية و لسانيات أمريكية... نظراً إلى كون اللسانيات علم كوني، شأنه في ذلك شأن كل العلوم، و معلوم أنه من غير المقبول أن نتحدث عن فيزياء فرنسية، أو رياضيات ألمانية»<sup>2</sup>.

وتفصيلاً، إذًا من هذا المنطلق يكون مصطلح لسانيات التراث متحفظاً عليه، و في مقابل هذا نجد أن إطلاق مصطلح الاتجاه التأصيلي و الذي يرمي إلى تأصيل المفاهيم اللسانية الحديثة في التراث اللغوي العربي القديم كمحاولة لإيجاد أوجه التماثل و التوافق بينهما فهذا من باب أولى.

### ثانياً: التأصيل اللساني و مشروعيته عند اللسانيين

#### العرب:

إنَّ الناظر إلى الدراسات اللغوية العربية عبر مسارها التراكمي لا يشك البتة في أنَّها أفرزت رصيماً معرفياً ضخماً أقرَّ به حتى النَّاطق بغير اللسان العربي، و هي حقيقة أدركها بعض الباحثين العرب المحدثين من خلال الدِّراسات المعرفية الجارية و التي كان منطلقها وأساسها التراث اللغوي العربي، ولقد كان الهدف من ذلك هو وضع الإرث العربي في مكانة يليقُ به في خارطة البحث اللغوي العالمي، وبذلك إقحامه في مقابلة مع ما أنتج من فكر و نظريات في اللسانيات الحديثة.

إنَّ هذا الربط كان لزاماً و حتمية « إذ ليس من المناسب أن يظل تراثنا اللغوي محصوراً في تطبيقه على الظواهر العربي فقط، في أن يوضع في مقابلة النظريات اللغوية المتنافسة التي تعالج الظواهر التي يعالجها التراث العظيم»<sup>7</sup>، و هو عند دعاة التأصيل ضرورة علمية ملحة، فما خلفه اللغويون العرب لا يجوز في حقِّهم أن نغضَّ الطرف عن تلك المنجزات الكبيرة، و قد أشار عبده الراجحي إلى ذلك في مقدمة كتابه (النحو العربي و الدرس الحديث) حينما قال: «فلعلَّ هذا البحث يقنع باحثينا الناشئين أنَّ الاتِّصال بالتُّراث من ناحية، و الاتِّصال بالمنهج الحديث في تطوُّره السَّريع من ناحية أخرى واجبٌ علمي، و واجبٌ قومي لا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف»<sup>8</sup>.

و رفضاً للاعتقاد القائل بأن الدِّراسات اللغوية العربية هي انعكاس و حفظٌ للتُّراث اللغوي الإغريقي إلَّا في بعض فرضياته الدَّلالية كما يقول مازن الوعر<sup>9</sup>، فإن دعاة التَّأصيل من اللسانيين العرب المحدثين أخذوا منحي لإثبات أنَّ اللسانيات من غير الممكن أن يكون إنتاجاً غريباً خالصاً، بل إنَّ هذه الأخيرة قد أخذت عن التُّراث اللغوي العربي حتى إنَّ بعض اللسانيين الغربيين المعتدلين و المنصفين أمثال ( روبرت، تشومسكي، كوك) أثبتوا «تأثر اللسانيات الحديثة بالتُّراث

العربي القديم من حيث أنَّه تصوراتٌ و مفاهيم وطرقٌ تحليل في ضوء التَّنظريات اللسانية الحديثة... و تكاد تكون السَّمة المميزة لهذا الصنف من الكتابة اللسانية سعيها إلى التَّوفيق بين مضامين التُّراث اللغوي العربي و ما تُقدِّمه اللسانيات من نظريات»<sup>4</sup>، و قد اعتمد هذا المصطلح من قبل أغلب اللسانيين العرب منهم حافظ اسماعيلي علوي وهدى صلاح رشيد، و قد وُظف للدلالة على تلك الجهود التي اشتغلت بالتُّراث اللغوي العربي و قابلت بينه وبين ما أنتجته الحركة اللسانية في الغرب.

وقد ربط بعض المتخصِّصين في اللسانيات هذا المصطلح بأعمال اللغويين العرب القدماء المعروفين على أساس أنَّ أعمالهم اللغوية اتَّسمت بالدِّقة و استعمال المنهج العلمي الذي تقتضيه اللسانيات الحديثة، و في هذا الصَّد يقول مصطفى غلفان: «و من ثمة نعتبر أن تسميات من قبيل نظري أو منهجي لتسميات من قبيل لسانيات الجاحظ ولسانيات سيويه و لسانيات الجرجاني، و ما شابه ذلك ممَّا يفيض به مؤلفات العديد من الدَّراسين و الكتاب العرب بمن فهم بعض المتخصِّصين في اللسانيات ليس لها أيُّ معنى نظري أو منهجي»<sup>5</sup>، و عليه فإن مصطلح لسانيات التُّراث تسعى إلى دراسة المنجزات اللغوية العربية القديمة وفق ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة لإبراز الموروث اللغوي العربي الذي يميِّز بمخرجات تصل إلى رتبة الدِّقة، وهذا لا يمنع أن نقول بأنَّها افتقرت في بعض جوانبها إلى الدِّقة العلمية.

و في مقابل هذا و بالتَّنظر إلى الغاية من الدِّراسات العربية الحديثة، و التي عالجت القضايا اللغوية العربية التُّراثية في ضوء المنجز اللساني الغربي الحديث التي بحثت في أوجه التَّماثل والتَّوافق بين الخطابين بهدف التَّأصيل لمفاهيم البحث اللساني الحديث في التراث اللغوي العربي، حيث استعمل حسن الملقح مصطلح الاتجاه التأصيلي<sup>6</sup> للدلالة على تلك الأعمال.

و عطفاً على ما سبق نقول: إذا كانت اللسانيات هي الدِّراسة العلمية الموضوعية للُّغات البشرية، و أنَّ إضافة دراسة التُّراث إليها (لسانيات التراث) معنى ذلك أنَّ التراث اللغوي العربي له خصوصيات علمية توازي تلك الموجودة في الدرس اللساني الحديث، مع أنَّ بعض الباحثين من ينفي هذه الصِّفة عن الدِّراسات اللغوية العربية القديمة جملةً

رأى حلي خليل أن أحسن من يمثل الاتجاه التأصيلي هو نهاد الموسى من خلال كتابه (النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي) و الذي حاول فيه الكشف عن جوانب التفكير النحوي عند العرب التي تتماثل مع الدرس اللساني الحديث، سعيًا منه إلى تأصيل مفاهيم تلك النظريات في التراث العربي و هذه بعض جوانب التأصيل في الكتاب:

- من أصول البنيوية (التوزيع) وهو منهج في

التحليل اتخذته مدرسة بلومفيلد Leonard Bloomfield (1887-1949) بتوزيع الوحدات اللغوية بطريقة استبدال وحدة لغوية بأخرى، وقد وقف التحويون العرب عند هذا المبدأ في حقيقته كما في تفسير العلاقات المطردة الثابتة في بنية الجملة العربية بالاختصاص، والعمل، فاختصاص (لم) بالفعل المضارع يعني أن ما بعدها فعل مضارع مجزوم.

- و من أصول النظرية التوليدية التحويلية التميز بين نوعين من الجمل: البسيط والمركب، و تقوم الجملة المركبة على جملة بسيطة أو على سياق متتابع من الجمل البسيطة.

## 2- عبد الرحمن الحاج صالح ومشروع التأصيل اللساني:

انطلق الحاج صالح في مشروعه التأصيلي من فكرة مفادها أنه كان يؤمن إيماناً كبيراً بوجود نظرية تتصف بالدقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل، والذي خلفه جهابذة اللغة العربية القدماء أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه و من نهج نهجهم، و يظهر هذا الأمر من خلال قراءته المتعددة للتراث العربي قراءات متأنية دقيقة « ليس في ضوء النظريات اللسانية الحديثة فقط، وإنما بدراسة ابستمولوجية (معرفية) لمفاهيم النحاة وتصوراتهم، و طرق تحليلهم، و بدون إسقاط أي تصور آخر للنحاة العرب المتأخرين، أو تصور الغربيين عليها»<sup>11</sup>.

و قد أثبت عبد الرحمن حاج صالح بوجود نظرية نحوية عند النحاة القدماء بطريقتين<sup>12</sup>:

الأولى: تتبع تاريخ علم اللسان من أقدم الإشارات التاريخية حتى العصر الحديث، و رصد التطور النظري والمنهجي في كل عصر.

اللغوي العربي، و ذلك عن طريق وسائل مختلفة سواءً أكانت مباشرة (الإطلاع على التراث اللغوي باللغة العربية) أم غير مباشرة (عن طريق ترجمة أعمال النحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغات أجنبية كثيرة و خاصة اللغة الألمانية)<sup>10</sup>، في ظل القول بأن الفكر اللغوي عموماً قد ظهرت بوادره عند الأمم قديماً و حديثاً، فقواعد البحث العلمي تقر بأنه لا تقوم حضارة دون روافد، وأن العلوم تبني بالتراكم، و كل من ينكر ذلك يرمى بقصر النظر.

إن دعاء التأصيل متشبثون بفكرة مفادها أن الأفكار التي قامت عليها اللسانيات الحديثة تضمنتها تراثنا اللغوي على اختلاف مستوياته، الأمر الذي أتاح لهم تقصي الأثر، و تتبع القضايا القريبة أو المطابقة للأفكار في الدرس اللغوي العربي القديم، وظهورها بصورة أخرى في نطاق الفكر اللساني الغربي الحديث.

## ثالثاً: اللسانيون العرب المحدثون و التأصيل اللساني:

إن المتتبع للكتابات و الدراسات اللسانية الحديثة التي قام بها بعض الدارسين العرب يرى من خلال تمحيص نماذجهم ودراساتها أن بعضها تكتفي بتأصيل جانب معين من المنجز اللساني الغربي، أو نظرية لسانية بعينها في أحد المستويات اللغوية العربية التراثية كالمستوى النحوي، و هذا ما نجده مثلاً عند عبده الراجعي في كتابه (النحو العربي والدرس الحديث)، و عبد الرحمن حاج صالح من خلال النظرية الخليلية الحديثة، و نهاد الموسى في كتابه (نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث)، وهناك من يلجأ إلى تناول التراث العربي بعده كلاً واحداً أو مادة متجمعة، و نجد مثل هذه الدراسات عند عبد السلام المسدي في كتابه (التفكير اللساني في الحضارة العربية)، وهدى صلاح رشيد في كتابها (تأصيل النظريات الحديثة في التراث اللغوي عند العرب).

و سنتعرض هنا لموقفين اثنين هما نهاد الموسى و عبد الرحمن حاج صالح كأنموذجين من هذا التوجه لنقف عند بعض محاولات التأصيل:

### 1- نهاد الموسى:

المقولات النَّحوية التي ذكرها أرسطو كأصل، وأخيراً ضرورة اعتماد النَّحاة العرب على غيرهم عند وضعهم للنَّحو و ذلك باقتباس ما وضعه الفكر اليوناني، إذ ما كتبه عن النَّحو ما كان يمكن أن يصدر من مثلهم عنده»<sup>18</sup>، حيث إنَّ أقواله تلك قد أثَّرت في الكثير من الذين حاولوا التَّنطُّق إلى هذه المسألة، حتى صارت أقوالهم حقائقَ متعارفٍ عليها، تقبُّلها النَّفوس و تحبُّدُها، و يتداولها الخَلْفُ عن السَّلَف و يدوِّنها مؤرِّخو العلوم، غير أنَّ هذا الادِّعاء، و تلك الافتراضات التي اصطنعها مركس و جعلها مسلِّمات علمية لم تبقَ دون ردِّ، حيث عكف الحاج صالح على الردِّ عليها و مناقشتها واحدة بعد أخرى و نفي الصِّحَّة عنها<sup>19</sup>، و قد خُصَّ في الأخير أنَّ المنطق الأرسطي لم يجد مرتعاً مريئاً إلا بعد نشوء النحو و اكتماله أي بعد إغلاق باب الاجتهاد...و أن النَّحو العربي لم يتأثر في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو لا في مناهج بحثه، و لا في مضمونه التَّحليلي<sup>20</sup>.

-النَّحو العربي و البنيوية: عقد الحاج صالح مقارنة بين النَّحو العربي و البنيوية، و كان هدفه من ذلك إثبات أنَّ العرب درسوا اللُّغة العربية بطريقة علمية كما هو حال الدِّراسات في الزَّمن الحديث، وتبيان الفوارق الجوهرية وأوجه الاتفاق بينهما، حيث ذكر أوجه اتِّفاق ثلاثة كانت كالآتي:

-إنَّ لكلا العِلِّمين موضوعاً واحداً و هو اللُّغة في ذاتها.

-ينطلق البنيويون من واقع اللُّغة كظاهرة و كذلك النَّحاة الأولون.

-دورة التَّخاطب the process of communication وظواهرها.

أمَّا بالنِّسبة للأولى فالثورة التي أحدثتها اللِّسانيات البنيوية هي أنَّها تدرس اللُّغة دراسة علمية في ذاتها و من أجل ذاتها دون تدخُّل أيِّ أطراف خارجية، كما أنَّها تدرس اللُّغة في زمن و مكان مُعيَّنين محصورين، بعد أن غلا التَّاريخيون الذين عمدوا إلى تتبع تطوُّر بُنى اللُّغة دون تتبُّع جزئياتها منفردةً، يذكر الحاص صالح أن الدرس اللُّغوي العربي يشارك مع البنيوية في هذا التوجُّه إذ يقول: «تهتم دراسة اللُّغة عند النَّحاة العرب و البنيويين باللُّغة في ذاتها و من حيث هي أي من حيث كونها أداةً للتبليغ أو التعبير عمَّا يكته الإنسان، و لا

**الثانية** : لأصول و الأنظار العلمية التي بُنى عليها نحاة العربية نظرية النَّحو العربي تلك الأنظار التي توصل إليها علم اللِّسان الحديث و لا سيَّما في المدرسة النَّحوية منهما مفهوم الباب و العامل والقياس.

-النَّحو العربي و إشكالية تأثره بالمنطق الأرسطي: خصَّ الحاج صالح النَّحو العربي و منطق أرسطو بدراسة خاصة، ذهب منها إلى أنَّ المنطق الأرسطي لم يؤثِّر تأثيراً حقيقياً ملحوظاً على النَّحو العربي إلا بعد القرن الرَّابِع للهجري، كما يرى أنَّ «تلك الأنظار منطلقات النَّحاة الأوائل كالخليل وسيبويه في الدُّرس النَّحوي...و أنَّها تتجاوز كل النَّظريات الوصفية الحديثة و تلتقي بالنَّظرية التَّوليدية النَّحوية»<sup>13</sup>، و انطلق الحاج صالح قبل الغوص في غياهب هذه المسألة من تساؤل جوهري مفاده: «هل تأثر النَّحو العربي بالمنطق اليوناني، و متى وقع ذلك؟»<sup>14</sup>، و يرى الحاج صالح أنَّ أول بوادر التَّأثر نلمسه «هو في زمان المبرِّد وتلاميذه و خاصة ابن كيسان و ابن السَّراج في نهاية القرن الثَّالث الهجري»<sup>15</sup>، و ذلك بعد أن ثبتت ترجمة عبد الله ابن المقفع كتاباً لأرسطو، غير أنَّ الذي نفاه الحاج صالح نفيّاً قاطعاً أنَّ العرب قد كان لهم اتِّصالٌ بمعارف اليونان قبل عهد التَّرجمة، أي قبل القرن الثَّالث، و استدلَّ على هذا النَّفي بأنَّه «يتبيَّن بالأدلة التَّاريخية و العقلية أنَّ النَّحو العربي هو في جوهره لغوي محض و لهذا أن مفهوم الإفادة- في الجملة المفيدة- هو أقرب إلى علم الإعلام منه إلى علم المنطق»<sup>16</sup>.

و راح الحاج صالح يُقرِّع هؤلاء الذين تسرَّعوا في اتخاذ قرار تأثر النَّحو العربي بالمنطق الأرسطي على غير بصيرةٍ من المستشرقين و غيرهم، حيث إنَّهم «ذهبوا يقارنون بين مصطلحاتهم و ما تواضع عليه اليونان من قبلهم في علم النَّحو، و رأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيماً أرسطوطاليسياً محضاً، و ياليتَّهم ما فعلوا هذا فينجوا من زلل لم يصب به أي عالم من قبلهم»<sup>17</sup>، و لعلَّ أهم الأعمال التي توغَّلت في تاريخ تأثر المنطق اليوناني على النَّحو العربي تلك التي قام بها أدالير مركس A.Merx، التي اختزلها في بعض الفرضيات «فالأولى هو ضرورة مرور زمن طويل-عدة قرون- حتى تتكون القواعد النَّحوية، و يجعل كأصلٍ لذلك، تطوُّر النَّحو اليوناني و نشأته فيقيس عليه، ثم ضرورة اعتماد النَّحو على المنطق و على مفاهيم فلسفية، ويتخذ هنا أيضاً مثال

العلم الموضوعي إذ يفضل - حسب أقوالهم - معياراً على آخر<sup>24</sup>، ثم سرد الأسباب و العلل التي تثبت عكس ذلك، واستخلص في الأخير نتيجةً مفادها أن « النحو العربي مبني على أسس ابستمولوجية مغايرة تمامًا للأسس التي قامت عليها اللسانيات البنيوية، ولا سيّما المبادئ العقلية التي قامت عليها تحليلاته<sup>25</sup>».

- بين النحو العربي و النحو التوليدي التحويلي: كما تعرّض الحاج صالح إلى بعض جوانب النظرية التوليدية التحويلية و أوجه التوافق بينهما، دون أن يغض الطرف عن خصوصية الخلفيات المعرفية لكلٍ منهما، حيث ذكر أنّهما تجتمعان في كونهما يتجاوزان مبدأ التصنيف الساذج الذي أقرّته البنيوية، ويقرّان بأهمية القاعدة التحويلية، ويعتمدان على الإجراء التفسيري في تبرير الصور اللفظية والتركيبية المحوّلّة، حيث « التفتت إلى مفهوم القاعدة التحويلية، وتفطنت إلى أهميتها لا كمجرد قاعدة تفرض معياراً من المعايير، بل كنمط يكتسبه الطفل بإنشائه إيّاه شيئاً فشيئاً من استماعه ومساهمته<sup>26</sup>، و لم يتوقف عند هذا الأمر بل ذكر أنّ الاختلاف بينهما واقع في تصوّر مفهوم التحويل الذي يعدّ أهم الركائز في النظرية التوليدية التحويلية، يقول الحاج صالح» فقد التزم النحاة برفض التقدير إذا جاء اللفظ على ما يقتضيه بابه أي على أصله، فكلمًا اتفق اللفظ في ظاهره مع الأصل فلا كلام فيه و هذا بخلاف ما يزعمه أتباع تشومسكي حينما عمّموا مفهوم التحويل التقديري و جعلوا لكل لفظٍ ظاهرٍ بنية عميقة ذات دلالة، إلا أنّ النحاة العرب لم يكتفوا بالتحويل التقديري بل عمّموا التحويل غير التقديري و أجروه على التحويل بأجمعه، أو بعبارة أخرى جعلوا النظام اللغوي كلّ أصولاً و فروعاً<sup>27</sup>».

### المحور الثالث: اللسانيات العربية و مفهوم التأسيس

#### المعرفي:

يتمثل التأسيس المعرفي للسانيات العربية وجهاً من أوجه المعرفة العلمية التي يتمّ بناؤها على أسس منهجية منظمّة، و قد حاول من خلالها بعض اللسانيين العرب بناء صرح معرفي يكون منطلقاً في دراسة الظواهر اللغوية من زاوية معرفية جديدة بالاستناد إلى الخلفيات المعرفية للمنجز اللساني الغربي، و ما أتى به من نظريات و أفكار، تلك الأفكار التي انبثقت في مجتمعات مغايرة لطبيعة و خصوصية المجتمع

تلتفت إلى ما كانت قبل أن تصير إلى ما هي عليه، فهي دراسة آنية لا زمانية، فكلّهما يتناول اللغة بالتحليل إلى أجزائها الكبرى و الصغرى، وكلاهما يبحث عن كيفية تركيبها بعضها في بعض<sup>21</sup>.

أمّا الثانية فقد عمدت البنيوية إلى اعتماد اللغة المكتوبة (المدوّنة) في المكان و الزمان المحددين دون أدنى تغييرٍ فيها، وهذا ما نجده عند النحاة العرب القدامى إذ « لا يمكن أن يستشهد إلا بما هو ثابت لا يردُّ و هو موجود في دواوين العرب التي دوّنها العلماء من الشعر و الكلام المنثور والأمثال و لا يلجأ إلى غير ذلك، فكل واحدٍ منهم يراعي الواقع كما هو<sup>22</sup>»، و قد اعتمد العرب في جمع المادة اللغوية اعتماداً أساسياً على المشاهدة أو السّماع المباشر مع معاينة أحوال الخطاب.

أمّا الثالثة فقد تناولت البنيوية اللّغة باعتبارها شبكةً من المفاهيم قائمةً على وظائف، فاهتمت بالخطاب لأنّه صلب العملية التواصلية، و غياب الخطاب عن الواقع يعني غياب التواصل الاجتماعي و من ثمّ غياب السلوك الإنساني، لأنّ السلوك الإنساني مبني على التواصل اللغوي الذي أساسه و عمادُه هو الخطاب اللغوي، و أنّ أهم تلك الوظائف هي أنّها أداة للتبليغ، و التبليغ له أساليبه وأدواته، و التي منها مبدأ الاقتصاد في الكلام، و الاستفاضة فيه بحسب المقام و أحوال المخاطبين، و قد ذكر الحاج صالح أن النحاة العرب أولوا أهمية للتخفيف كاستعمالهم ظواهر القلب و الأبدال والحذف و غير ذلك، و قد عدّ ذلك شيئاً حميداً.

كما قد ذكر نقاط الاختلاف بين النحو العربي و البنيوية و حدّهما في نقطتين:<sup>23</sup>

-المعيارية و الوصفية.

-اختلاف النظرة إلى اللّغة و ما يترتب على ذلك من اختلاف

في مناهج البحث.

و قد أسهب الحاج صالح في توضيح هاتين النقطتين، مدافعاً على علمية الفكر العربي و دراسة النحو العربي دراسة وصفية في بداياته، و قد ردّ على الذين زعموا أنّ النحاة العرب قد أطلقوا أحكاماً معيارية أو أن « يكون التحويلي - مثل سيبويه- في هذه الأحكام من أبعد الناس عن

والعادات الذهنية و القواعد السلوكية التي تتبعها الجماعة العلمية التي يندمج فيها المُقبل على البحث...و لذلك لا يتصور الباحث المتكُون بحثاً آخر مغايراً غير الذي يسمح به المناخ الفكري الذي يحدُّ أفقه و يرسم خطوطه»<sup>29</sup>، فالتكُون الثقافي للمتلقي العربي سيحيّم عليه التصادم مع أيّ فكرة جديدة يرى أنّها شيءٌ غريب دخيل لم يتجاوب معه تكوينه الفكري « لأنّ الجديد يصدم العادات الذهنية»<sup>30</sup>، والعادات الذهنية للمتلقي مبنية على القديم، إذ يرى أنّ الأفكار القديمة التي بُنيت عليها المعرفة أفضل من الجديدة، فهو لا يتقبل ببساطة أيّ فكرٍ جديد و إن كان مدعوماً بالحجج والفرائن في فترة بداياته، « ف البناءات العلمية لا تجد صدئاً إيجابياً لدى المتلقين إلاّ في فتراتٍ لاحقةٍ قد تطول أو تقصر بسبب اعتبارات معرفية وثقافية و ذاتية»<sup>31</sup>.

إنّ تأسيس معرفةٍ جديدةٍ تكون منطلقاً و شكلاً جديداً في تحليل الظواهر اللغوية يحتاج إلى مراعاة بعض الضوابط والمعايير حتى تكون طريقة تلقي تلك المعرفة ذات فعالية وبأسلوب يسمح بتغلغلها في الوسط الفكري للمجتمع بشكلٍ سلس، والذي تحكّمه تقاليدٌ معرفيةٌ عريقةٌ تستند إلى المعارف اللغوية القديمة، « حيث يهيمُ الفكر اللغوي القديم موضوعاً ومنهجاً، تصورات و مصطلحات، حاجزاً أمام ظهور أي مقارنة جديدة للغة العربية، لا من حيث النظرية و المنهج فحسب، إنّما من حيث الموضوع، أي اللغة العربية في واقعها الرّاهن ولحظاتها المتجدّدة»<sup>32</sup>.

إنّ الجمع بين ثقافتين مختلفتين تماماً شكلاً و مضموناً يتطلب منّا إبعاد أي شكل من أشكال الاستمرار في الاعتماد على تقليد الفكر اللغوي القديم، الأمر الذي يحسبنا بالحرية المنهجية و النظرية، غير أنّ « قبول أفكارٍ علميةٍ جديدةٍ يمكن أن تتأخّر أو تُؤخّر بفعل نوعٍ من التحجر»<sup>33</sup>، فالذي يسمى تحجراً يعتبره المتلقي العربي ضرورةً لتفادي السقوط في الأفكار العلمية التي لا تتوافق وخصوصيات اللغة العربية، فهو ينافح عن كل ما قد يضر أو يخلق التباسات في الوسط اللغوي الذي بني من أمد طويل، ومازال يحافظ على مقوماته و أسسه النظرية و المنهجية، ف « المتلقي يفهم البناء العلمي بحسب تكوينه الفكري والتزامه المذهبي فإن كان المتلقي من نفس التوجه المعرفي الذي ينتهي إليه صاحب الاكتشاف بأنّه مجرد جزئيات كامنة فيما هو

العربي، و قد حاول بعض المنظرين العرب من اللسانيين المحدثين تطبيق ما جاءت به النظريات اللسانية على اللغة العربية بخلفياتها المعرفية.

لقد ذهب بعض اللسانيين العرب إلى أنّ الحداثة الغربية كونية و عالمية و قابلة للاستنساخ في المجتمع العربي، فهي ليست خاصةً به بل هي نتاج العقل الإنساني و من حقّ المجتمع العربي الاستفادة منها، كما حاول هؤلاء اللسانيين التأسيس المنهجي و المعرفي من خلال اتّخاذ موقف معرفي من النظريات اللسانية الحديثة بالانخراط الفعلي فيها، من منطلق قابلية التفاعل الحضاري و الثقافي بين المجتمعات « ولا شك أنّ الثقافة الأحدث و الأسرع و الأكثر امتلاكاً للقدرة على الخلق و الإنتاج والتجدّد، هي الثقافة الأكثر قدرةً على الانتشار، أي هي الثقافة التي تفرض نفسها على غيرها، بقوة الفكر والسيف، على ما هو شأن الثقافة الغربية الحديثة، التي تفرض نفسها و تمارس عالميتها انطلاقاً من خصوصياتها... فمن يتفرد في تجربته و يتعامل مع خصوصيته بطريقة خصبة خلّاقة و مبتكرة، إنّما يفرض نفسه و يمارس عالميته»<sup>28</sup>.

كما يرى هؤلاء اللسانيين الذين قاموا باجتهادات جلية في تأسيس منجى معرفي لسانی عربي قائم بذاته أمثال مازن الوعر و مرتضى جواد باقر ضرورةً أن يتحرّر العقل العربي من سلطة النّص التراثي، وأن يعتمد على المناهج العلمية لتأسيس معرفةٍ معاصرة، كما عليه أن يكفّ عن استخدام التّراث كأمودج معياري، أو لنقل أنّ بعض اللسانيين العرب اجتهدوا في طرح القضايا اللسانية الحديثة والمعاصرة على أساس أنّ اللسانيات و ما أتت به من نظريات لسانية إنتاج معرفي إنساني، فهم إذًا يأخذون تلك النظريات على أنّها مسلمت معرفية ويحاولون من منطلقاتها المعرفية بناء درسٍ لسانی عربي حديث.

#### المحور الرابع: انعكاس المناخ الفكري على الكتابات اللسانية الحديثة:

إنّ البناء المعرفي للسانيات العربية يجب أن يأخذ المناخ الفكري السائد في الثقافة العربية الحديثة بعين الاعتبار، والذي يقف وراء خصوصية الفاعلية العلمية، « فممارسة البحث العلمي تقتضي الانخراط في جملة من الأفكار

التعريب و النحت والاشتقاق، ويقضون في كل هذا، و لو كانت لأغلبهم معرفة بنتائج علم اللغة و بشيء من الدراسات اللغوية الحديثة لكان لهم في هذه الموضوعات العلمية قضية أخرى أسلم أصلاً و أوضح سبباً»<sup>36</sup>.

### ثانياً: جهود اللسانيين العرب في التأسيس للسانيات العربية:

يتبين من خلال الدراسات الاستمولوجية للكتابات اللسانية العربية الحديثة أن مواقف اللسانيين العرب كانت على قناعة بأنه يمكن تبسيط الجهاز المفاهيمي للنظريات اللسانية الغربية الحديثة، غير أن الأمر سار ببطء شديد و على المدى البعيد، حتى إن أشهر اللغويين المشاركة اضطر أن يغيّر من تفكيره ليقبل بالأوضاع التي كانت تحيط به و هو تمام حسان إذ يقول: «حين كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة، كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة ولاسيما عند تطبيق منهجها و أفكارها على اللغة الفصحى (...) و لهذا أثرت أن أبتعد بأفكار المنهج الوصفي عن طلبة السنوات الأربع (...) لكنني أكدت وجود هذه الأفكار وأصرتُ عليها بالنسبة لطلبة الدراسات العليا»<sup>37</sup>، أمّا في المغرب العربي و إن ظهرت اللسانيات بشكل متأخر إلا أنها كانت أعمق أثراً، لذلك نلمس حماس الرؤاد المغاربة للسانيات بشكل ملحوظ، فظهرت أعمالاً قيّمة ذات أبعاد معرفية أعطت للدراس اللغوية العربي دفعا ملموساً من خلال أعمال أحمد المتوكل الذي حاول أن يؤسس نظرية عربية مثلى في النحو الوظيفي حيث قدّم طرق تحليل جديدة في دراسة النحو العربي، و من النماذج الرائدة مما نجده في كتابات اللسانيين العرب أمثال مازن الوعر الذي بلور فكرة جديدة في مضمونها لم يسع إلى نقل علم غربي إلى الثقافة العربية، بل إلى تأسيس لسانيات عربية مستقلة، فقد سمح له انغماسه العميق في مفاهيم النظريات اللسانية الغربية خاصة النحو التوليدي التحويلي، ومعرفته بالتراث التحويلي العربي إلى صياغة نظرية علمية شاملة كان الهدف منها هو إعادة النظر في عناصر التراكيب الأساسية في اللغة العربية من خلال تحديد مختلف العمليات النحوية و الدلالية التي يستعملها المتكلم الفصيح و تحديد العلاقات المتحكممة في ذلك، و قد أغفل النحاة

معروف، و إن كان معارضاً فيحكم على الاكتشاف أنه من قبيل المستبعد أو الغامض في حاجة إلى تنقيح»<sup>34</sup>.

### المحور الخامس: اللسانيات العربية ومحاولات التأسيس:

#### أولاً: إسهام الكتابات اللسانية التمهيدية في تأسيس درس لساني عربي حديث:

منذ البدايات الأولى للسانيات وُجد هذا النوع من التفكير، و قد عُرف بالكتابات اللسانية التمهيدية، وهي في الحقيقية ضرورةً يتطلّبها أي علم من العلوم، و هي السبيل الأقوم لنشر الثقافة العلمية، ولا شك أيضاً أن تبسيط المعرفة اللسانية أمر لا مناص منه، خاصة أن بعض النماذج اللسانية الغربية استعانت في إرساء بعض أفكارها بالمفاهيم الرياضية، و التي بلغت مستويات عالية من التجريد على غرار النموذج التوليدي التحويلي.

إن الكتابات اللسانية التمهيدية لعبت دوراً مهماً في إيصال الفكر الغربي إلى المتلقي العربي، و لا ينكر ذلك إلا جاحد، بفضلها «الكتابة اللسانية العربية تعرف اليوم تطوراً نوعياً و تتلمس طريقها نحو آفاق جديدة، و من المؤكد أيضاً أنها ساهمت تاريخياً في نشر وعي جديد بأهمية المعالجة اللسانية للغة العربية، مؤسسهً بذلك ثقافة لغوية جديدة في ثقافتنا العربية المعاصرة»<sup>35</sup>، فبالرغم من النقص الذي اعترها في بعض الجوانب المنهجية والتحليلية إلا أنها مكّنت اللسانيات العربية مع مرور الوقت من وضع اللبنة الأولى لبحث لساني عربي علمي، وذلك وضعها لأوليات نظرية و مفاهيم منهجية مغايرة في أغلبها للدراسات اللغوية العربية السائدة معيّدة السبيل للباحثين اللاحقين من بناء درس لساني عربي في مستوى الحدائة و العالمية يضارع نظيرتها في اللسانيات الغربية، كما قد دعا بعض الباحثين العرب المعدودين إلى تبني مفاهيم الدرس اللساني الحديث إيماناً منهم بأن ذلك سوف يُعطي نقلة نوعية في البحث اللساني العربي، و يدفع اللغة العربية إلى الأمام، و لا تبقى متوقفة في دوامة التثبيث بالدرس القديم، يقول محمود السعمران: «إننا نعالج أحياناً مشكلات لغوية خطيرة على جهل ما يراه العلم اللغوي الحديث من البسائط و الأوليات، و من ذلك أن علماءنا يتحدثون عن تيسير النحو و عن تيسير العربية وترقيتها، و عن إصلاح الكتابة العربية، وعن العامية والفصحى، و عن

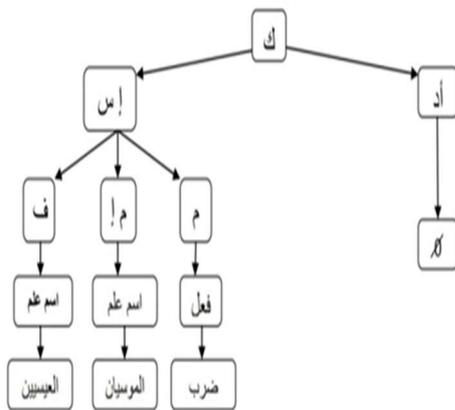
كسيبويه و غيره وجعلوها محور التركيب العربي، و التي جعلها مازن الوعر المنطلق الأساس في فهم نظريات وأطروحات العرب، كما أكد أنّ الفكرة الأساسية في النظرية اللسانية العربية هي فكرة العامل و المعمول التي صاغ عبد الرحمن الحاج صالح صياغةً رياضيةً تستجلي بنية التراكيب العربية على النحو الآتي:

$$\text{ك (كلام)} = [\text{ع(العامل)} + \text{م (المعمول)} + \text{م (المعمول)}] + \text{ف (الفضلة)}$$

و يقسم مازن الوعر التراكيب في العربية إلى قسمين هما: التركيب الاسمي و التركيب الفعلي و « أنّ المسند (م) والمسند إليه (م إ) و الفضلة (ف) يمثل الحجز الأساس في النظرية اللسانية العربية للتراكيب، و العلاقة التي تربط بين هذه المكونات تدعى الإسناد (إ س)»<sup>41</sup>، بالإضافة إلى الأركان التي ذكرناها فإنّ مازن الوعر "يقدمُ ركناً آخرًا يمكن أن يحوّل التركيب الأساسي في العربية إلى تراكيب مشتقة جديدة و يسمى هذا الركن الأداة (أ د) ، و يمكن أن يكون استفسهما أو أداة نفي أو أداة شرط أو نحو ذلك، وبذلك تكون القاعدة التالية هي التي تولي التراكيب الأساسية في اللغة العربية:

$$\text{ك (كلام)} = \text{أد (أداة)} + \text{م (مسند)} + \text{م إ (مسند إليه)} + \text{ف (فضلة)}$$

أي أنّ الكلام يحكمه طرفان، الأداة و الإسناد، أمّا الفضلة فيحكمها الإسناد، و يكون تمثيلها الشجري كما أشار إلى ذلك مازن الوعر على النحو الآتي:<sup>42</sup>



هذا و قد وسّع مازن الوعر تحليلاته لتشمل من خلال معالجته العديد من النقاط كقضية الرتبة الذي عقد مقارنة

القدامى الوحدة الدلالية و الوظيفية للتراكيب ولم يناقشوها مناقشةً مستفيضةً نظراً لاهتمامهم بالتحليل للمستوى الشكلي للغة العربية، بينما تركوا الدلالة و الوظيفة للبلاغيين» الذين شرّحوا بشكلٍ مستفيض و موسّع الوجوه الدلالية و الوظيفية للتراكيب الأساسية في اللغة العربية»<sup>38</sup>.

ومن هذا التّعيين فإنّ المعرفة الدّقيقة والتّفسير العميق لبنية التّراكيب العربية تطرّح ضرورة الاستعانة بالنّظرية اللّغوية العربيّة القديمة بالإضافة إلى النّظريات اللّسانية العربيّة الحديثة يقول مازن الوعر: « إنّ صياغة منهج متماسكٍ من خلال هاتين النّظريتين (نظرية عبد القاهر الجرجاني البلاغية و نظرية تشومسكي اللّسانية) تجعلنا نكتشف السّمات التّركيبية والدّلالية للتراكيب العربيّة بأنواعها المختلفة و ذلك من أجل بناء صيغة لغوية حسابية تجريدية تمثل جميع هذه التّراكيب العربيّة بسماتها التّركيبية و الدّلالية الدّقيقة و الشّاملة من أجل برمجتها برمجةً تقنيةً في الحاسوب الآلي»<sup>39</sup>.

إذا نستجلي من كلامه هذا أنّه أراد أن يعيد العلاقات الموجودة سلفاً بين العناصر الأولية للتركيب الأساسي للغة العربية، ويعيد توجيهها بعد استخراج مواطن النقص الموجودة فيها، و الذي يوجّهه بعد ذلك إلى إعادة إنتاج نسق جديد و نظرية جديدة تحاول أن تعطي فهماً أكثر عمقاً للتراكيب العربية، و عليه يمكن القول أنّ مازن الوعر قد وجد في التراث اللغوي العربي و ما أنتجه اللغويون العرب مادةً علميةً ثقيلةً و منهجاً جاهزاً سبقه إلى صقله وتجريبه غيره، ثم قام بدمج محاوره ونتائجه مع كلّ من النظرية الدلالية التصنيفية لولتر كوك A. Walter Cook و تشومسكي N. Chomsky، إذ يقول في هذا الصدد: « و من ههنا فإنني سأعرض الافتراضات النّحوية و الدّلالية للبنية العميقة أو المقدرة للتراكيب العربية مستخدماً المنهج اللساني الذي وضعه العرب القدماء، بالإضافة إلى ذلك سوف احاول دمج هذا المنهج اللّساني العربي القديم بالمنهج الدّلالي التصنيفي الذي وضعه عالم الدلاليات الأمريكي ولتر كوك، و بالمنهج التوليدي التحويلي الذي وضعه عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي، و ذلك لوصف التراكيب العربية وشرحها نحويّاً و دلاليّاً»<sup>40</sup> ، و برجوعه إلى التراث العربي بنى مازن الوعر جُلّ تحليلاته على مقولة الإسناد التي تكلم فيها النحاة القدامى

ينحصر الاهتمام على البحث اللغوي العربي القديم، فقد ظهرت آليات تحليل جديدة مسّت جوانب عدّة كالتعليم والحوسبة وغيرها.

- اللسانيات وما انتجته من معطيات تحليلية جديدة هي نتاج حضاري بالدرجة الأولى لا يجب التخلف عنها أو إقصاؤها، وإذا سلّمنا بهذا الأمر فإن ذلك لا يعني التنصّل من الدراسات اللغوية القديمة أو إحلالها محلّها على الجملة، و لكن من الحكمة أن نعالج قضايا اللغة العربية وفق ما يقتضيه متطلبات العصر، فنحن بحاجة إلى حوسبة اللغة العربية، وتطوير أساليب التعليم، و إيجاد صيغ جديدة لفهم تراكيب اللغة العربية.

#### قائمة المراجع:

- 1- بناصر البعزاتي، خصوصية المفاهيم في بناء المعرفة دراسة ابستمولوجية، الطبعة الأولى، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 2007.
- 2- تمام حسّان، اللغة العربية معناها و مبنائها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
- 3- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009.
- 4- حسن خميس سعيد الملق، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء و المحدثين، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000.
- 5- حلمي خليل، العربية و علم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي الحديث، دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع، الاسكندرية، 1996.
- 6- زكي نجيب محفوظ، تجديد الفكر العربي، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، 1973.
- 7- عبد الرحمن حاج صالح، منطق النحو العربي و العلاج الحاسوبي للغات، السجل العلمي لندوة استخدام الحاسوب في تقنية المعلومات، بيروت، 1978.
- 8- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر، 2007.
- 9- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012.

بين قواعد الرتبة العربية و كذا الرتبة في النظرية التوليدية التحويلية، و ربط المكوّن التركيبي بالمكوّن الدلالي و الفونولوجي، والتّحليل الدلالي للأبنية المجهولة والمعلومة و غيرها، كما قد بين أنّ التّحليلات الجديدة ينسجم مع طبيعة اللغة العربية في ظلّ التجريب الكبير للمفاهيم و الأدوات التحليلية للنظريات اللسانية الحديثة، و استعمال آليات هذه الأخيرة في فحص و تحقيق التراث اللغوي العربي.

#### خاتمة:

يمكن أن نستنتج ممّا سبقت الإشارة إليه في هذه الورقة البحثية ما يلي:

- إنّ الجمع بين التراث اللغوي العربي و اللسانيات قد يكون جمعاً يفتقد إلى الشروط الابستمولوجية التي تجعل الرّبط بينهما قوياً، غير أنّ الذي نجده في تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي العربي يُظهر نقاطاً تشارك بينهما ممّا يجعل دمج بعض المعطيات مُمكناً، فالتراث اللغوي العربي يحوي على مادة علمية لغوية ثقيلة لا يمكن تجاوزها.

- إنّ دمج معطيات اللسانيات مع اللغة العربية بعد تجريب و اختبار مستمرين يُقدّم دفعا قوياً لإنتاج طرق تحليل جديدة للتراكيب العربية، و عليه يمكن التوجّه إلى إنتاج معرفة في اللسانيات العربية الحديثة.

- الملاحظ من خلال الصّياغات الجديدة للعناصر اللغوية أنّها لا تشبه الصّياغة العربية القديمة و التي كانت اندراجية، بينما الصّياغات الآتية تعتمد على التّصنيف الشّجري على النحو الذي نجده عند تشومسكي، والمعادلات الرياضية الجبرية حيث أدّت هذه الطريقة المستحدثة إلى توضيح الكثير من المسائل اللغوية المعقدة، ممّا يفتح باب الاجتهاد اللغوي العربي خدمةً لتطوير اللغة العربية.

- البناء المعرفي مرهونٌ بخصوصية المفاهيم، و إنّ الناظر في بعض البحوث اللغوية في اللسانيات العربية الحديثة تُظهر الوعي اللغوي الكبير لدى اللسانيين العرب في التأسيس للسانيات العربية حديثة، في حين أنّ هناك بعضها الآخر آتسم بالتّسرع دون الفهم الجيد لمعطيات النظريات الغربية فوقع في بعض المغالطات المنهجية و التي لا يمكن التأسيس عليها.

- إنّ اللغة العربية في تطوّر مستمرٍ كسائر اللغات، و على الدرس اللغوي العربي أن يُراقب هذه التغيّرات، لذلك لا

- 10- عبد الرحمن الحاج صالح، النَّظَرِيَّةُ الخَلِيلِيَّةُ الحديثة مفاهيمها الأساسية، مركز البحث العلمي و التَّقْنِي لِتَطْوِير اللُّغَة العربية، الجزائر، ع4، 2007.
- 11- عبد العزيز الدايم، النَّظَرِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ فِي التَّرَاثِ العَرَبِي، الطبعة الأولى، دار السَّلام، القاهرة، 2002.
- 12- علي حرب، حوارات و محاور، الطبعة الأولى، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1997.
- 13- عبده الراجحي، النَّحْو العَرَبِي و الدَّرْس الحديث، دون طبعة، دار النَّهْضَة العَرَبِيَّة، بيروت، 1979.
- 14- مازن الوعر، صلة التراث اللُّغَوِي العَرَبِي باللُّسَانِيَّات، مجلة التَّراث العَرَبِي، اتِّحَاد الكِتَاب العَرَب دِمَشق، العدد 48، 1992.
- 15- مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، دمشق، 1987.
- 16- مازن الوعر، دراسات نحوية دلالية فلسفية في ضوء اللُّسَانِيَّات المُعَاَصِرَة، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، 1986.
- 17- مصطفى غلفان، اللُّسَانِيَّات العَرَبِيَّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر و الأسس النَّظَرِيَّة و المنهجية، منشورات جامعة الحسن الثاني، عين الشُّق، كَلِيَّة الآداب و العلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات، المغرب، 1998.
- 18- مصطفى غلفان، اللُّسَانِيَّات العَرَبِيَّة أسئلة المنهج، الطبعة الأولى، دار ورد الأردنية للنشر و التَّوْزِيْع، الأردن، ، 2013.
- 19- محمود السَّعْرَان، علم اللُّغَة مقدمة للقارئ العَرَبِي، دار النَّهْضَة العَرَبِيَّة للنشر و التَّوْزِيْع، بيروت، دون تاريخ.
- 20- نهاد الموسى، نظرية النَّحْو العَرَبِي في ضوء مناهج النَّظَر اللُّغَوِي، الطبعة الثانية، دار البشير و مكتبة وسام الأردن، 1987.

### الهوامش:

الشق، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات، المغرب، 1998، ص34.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص135.

<sup>5</sup> - مصطفى غلفان، اللُّسَانِيَّات العَرَبِيَّة أسئلة المنهج، الطبعة الأولى، دار ورد الأردنية للنشر و التَّوْزِيْع، الأردن، 2013، ص 45-46.

<sup>6</sup> - حسن خميس سعيد الملق، نظرية التَّعْلِيل فِي النَّحْو العَرَبِي بَيْن القَدَمَاء و المحدثين، الطبعة الأولى، دار الشُّرُوق، عمَّان، الأردن، 2000، ص241.

<sup>7</sup> - عبد العزيز الدايم، النَّظَرِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ فِي التَّرَاثِ العَرَبِي، الطبعة الأولى، دار السَّلام، القاهرة، 2002، ص3.

<sup>1</sup> - زكي نجيب محفوظ، تجديد الفكر العَرَبِي، الطبعة الثانية، دار الشُّرُوق، القاهرة، ، 1973، ص254.

<sup>2</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، اللُّسَانِيَّات فِي الثَّقَافَة العَرَبِيَّة دراسة تحليلية نقدية فِي قَضَايَا التَّلْقِي وإشكالاته، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتَّحدَة، بيروت لبنان، 2009، ص412.

<sup>3</sup> - مصطفى غلفان، اللُّسَانِيَّات العَرَبِيَّة الحديثة دراسة نقدية فِي المَصَادِر و الأسس النَّظَرِيَّة و المنهجية، منشورات جامعة الحسن الثاني، عين

<sup>36</sup> محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دون طبعة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ص23.

<sup>37</sup> تمام حسّان، اللُّغة العربية معناها و مبنائها، دار الثَّقافة، الدار البيضاء- المغرب، 1994، ص7-8.

<sup>38</sup> مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987، ص43.

<sup>39</sup> مازن الوعر، دراسات نحوية دلالية فلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، 1986، ص132.

<sup>40</sup> مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص93.

<sup>41</sup> المرجع نفسه، ص32.

<sup>42</sup> مازن الوعر، دراسات نحوية دلالية فلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، ص117.

<sup>8</sup> عبده الراجحي، النَّحو العربي و الدُّرس الحديث بحثٌ في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص7.

<sup>9</sup> مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 48، 1992، ص95.

<sup>10</sup> المرجع نفسه، ص95.

<sup>11</sup> حسن خميس سعيد الملح، نظرية التعليل في النَّحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص247.

<sup>12</sup> المرجع نفسه، ص248-249.

<sup>13</sup> المرجع نفسه، ص248.

<sup>14</sup> عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص42.

<sup>15</sup> المرجع نفسه، ص42.

<sup>16</sup> المرجع نفسه، ص42.

<sup>17</sup> المرجع نفسه، ص44.

<sup>18</sup> عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص42.

<sup>19</sup> عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، ص49-60.

<sup>20</sup> المرجع نفسه، ص63.

<sup>21</sup> المرجع نفسه، ص24.

<sup>22</sup> المرجع نفسه، ص25.

<sup>23</sup> المرجع نفسه، ص26-33.

<sup>24</sup> المرجع نفسه، ص27.

<sup>25</sup> عبد الرحمن الحاج صالح، النَّظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد الرابع، 2007، ص24.

<sup>26</sup> المرجع نفسه، ص26-27.

<sup>27</sup> المرجع نفسه، ص28.

<sup>28</sup> علي حرب، حوارات و محاور، الطبعة الأولى، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1997، ص47-48.

<sup>29</sup> بناصر البعزاتي، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة دراسة إبستمولوجية، الطبعة الأولى، دار الأمان للطباعة والنشر و التوزيع، الزباط، 2007، ص112.

<sup>30</sup> المرجع نفسه، ص162.

<sup>31</sup> المرجع نفسه، ص159.

<sup>32</sup> مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر و الأسس النَّظرية والمنهجية، ص28.

<sup>33</sup> بناصر البعزاتي، مرجع سابق، ص162.

<sup>34</sup> المرجع نفسه، ص159.

<sup>35</sup> مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر و الأسس النَّظرية والمنهجية، ص173.